ملامح شعر المقاومة في الأدب الإسلامي المعاصر:
قصيدة «أبشري يا قدس» للشاعر السوري عمر محمود ضوبع أنموذجًا

Characteristics of Resistance Poetry in Contemporary Islamic Literature: An Analytical Study of the Poem "Abshiri Ya Quds" (Rejoice, O Al-Quds) by Syrian Poet Omar Mahmoud Dobaa

Usman Farooq
PhD Scholar, Arabic Language and Literature
Allama Iqbal Open University, Islamabad, Pakistan
Email: usmanfarooq710@gmail.com
Dr. Ghassan Abdul Majeed
Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature
International Islamic University, Islamabad, Pakistan
Email: ghassan.abdulmajeed@iiu.edu.pk

Abstract
This study examines the characteristics of resistance poetry in contemporary Islamic literature through an analytical reading of the poem "Abshiri Ya Quds" (Rejoice, O Al-Quds) by the Syrian poet Omar Mahmoud Dobaa. The research aims to identify the ideological and artistic features of Islamic resistance poetry and to demonstrate how the poem embodies the Islamic worldview in addressing the cause of Palestine and Al-Quds. Adopting a descriptive-analytical approach, the study investigates the poem's thematic structure, artistic construction, language, imagery, rhythm, and selected poetic passages, with particular attention to the integration of form and content. The findings reveal that the poem presents resistance not merely as a political or military act but as a comprehensive Islamic and civilizational mission grounded in faith, patience, steadfastness, sacrifice, and absolute trust in Allah's promise of victory. The study further demonstrates that Al-Quds is portrayed as a symbol of Islamic faith, identity, and civilization rather than merely a geographical location. Moreover, the poet effectively employs Qur'anic

intertextuality, Islamic historical symbolism, vivid imagery, imperative expressions, and a dynamic rhythmic structure to reinforce the poem's ideological and emotional impact. The research concludes that "Abshiri Ya Quds" represents a distinguished model of contemporary Islamic resistance poetry in which artistic creativity is harmoniously integrated with ideological commitment. The poem illustrates the enduring role of Islamic literature in preserving the Muslim Ummah's identity, strengthening collective consciousness, inspiring resilience, and affirming confidence in the ultimate triumph of truth over falsehood.

Keywords: Contemporary Islamic Arabic Literature, Islamic Resistance Arabic Poetry, Al-Quds, Palestine, Omar Mahmoud Dobaa, Islamic Worldview, Thematic Structure, Artistic Construction, Language, Imagery, Rhythm, Analytical Study

تمـهـيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

قال الله تعالى :

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [1]

وقال رسول الله ﷺ:

"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمّى". [2]

وفي حديث آخر:

"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرّهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله – وفي رواية – وهم كذلك". [3]

يُعدّ الأدب الإسلامي المعاصر أحد أبرز ميادين التعبير عن هموم الأمة وقضاياها المصيرية، إذ لم ينفصل في مختلف مراحله عن واقع المسلمين وآمالهم وتطلعاتهم، بل ظل مرتبطًا برسالته الحضارية التي تستمد مقوماتها من العقيدة الإسلامية وقيمها الإنسانية والأخلاقية. وقد كان للأحداث الكبرى التي مرت بها الأمة الإسلامية أثر واضح في توجيه مسارات هذا الأدب وتحديد موضوعاته، فبرزت فيه

موضوعات الدعوة والإصلاح والهوية والوحدة ومقاومة الظلم والاحتلال، حتى غدت جزءًا أصيلًا من بنيته الفكرية والفنية.

ومن بين الاتجاهات الأدبية التي حظيت بمكانة بارزة في الأدب الإسلامي المعاصر يبرز شعر المقاومة، الذي نشأ استجابةً للتحديات السياسية والعسكرية والحضارية التي واجهتها الأمة، وسعى إلى التعبير عن آلامها وآمالها، وتجسيد روح الصمود والثبات في مواجهة العدوان. ولم يكن شعر المقاومة مجرد تسجيل للأحداث أو وصف للمعاناة، بل كان وسيلة فاعلة في تشكيل الوعي، واستنهاض الهمم، وتعزيز روح التضحية والفداء، وبعث الثقة في النفوس بأن الحق لا بد أن ينتصر مهما طال أمد الباطل.

ويتميّز شعر المقاومة في الأدب الإسلامي بخصائص فكرية وفنية تنبع من مرجعيته الإسلامية؛ فهو ينظر إلى الصراع من خلال منظومة عقدية وأخلاقية تؤمن بأن مقاومة الظلم واجب، وأن الدفاع عن الأرض والعرض والمقدسات مسؤولية شرعية وإنسانية. ومن ثم تتجلى في هذا الشعر معاني الإيمان والصبر والثبات والجهاد والتضحية والشهادة، كما يحرص على ترسيخ الأمل في المستقبل واستحضار سنن الله في نصر المؤمنين وهزيمة المعتدين.

وقد احتلّت القضية الفلسطينية موقعًا محوريًّا في شعر المقاومة الإسلامي؛ لما تمثله من قضية عقيدة وهوية وحضارة، ولارتباطها الوثيق بالقدس الشريف، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الله ﷺ. ولذلك أصبحت فلسطين رمزًا للمقاومة والصمود، وتحولت معاناتها إلى مصدر إلهام لكثير من الشعراء الذين رأوا فيها صورةً لمعاناة الأمة كلها، فجعلوا من الكلمة الشعرية وسيلة للدفاع عنها، وإبقاء قضيتها حيّة في وجدان الأجيال.

ومنذ نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨م وما تلاها من احتلال وتشريد ومجازر وعدوان متكرر، ظل الشعر العربي والإسلامي يؤدي دورًا مهمًّا في توثيق المأساة الفلسطينية والتعبير عن تطلعات الشعب الفلسطيني إلى الحرية والاستقلال. وقد أسهم هذا الشعر في ترسيخ حضور فلسطين في الوعي العربي والإسلامي، وجعلها رمزًا للكرامة والعزة ومقاومة الظلم، حتى أصبحت من أكثر القضايا حضورًا في الأدب العربي المعاصر.

وقد تناول القضية الفلسطينية شعراء كثيرون من مختلف الأقطار العربية، فجعلوا منها رمزًا للحرية والصمود ومقاومة الظلم، وأسهموا من خلال قصائدهم في ترسيخ حضورها في الوجدان العربي والإسلامي.

ومن أبرز هؤلاء الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان في قصيدته «موطني» والشاعر الفلسطيني عبد الرحيم محمود في قصيدته «الشهيد» التي مطلعها: 'سأحمل روحي على راحتي' والشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان في قصيدتها «لن أبكي» والشاعر الفلسطيني محمود درويش في قصيدته «بطاقة هوية»

والشاعر الفلسطيني سميح القاسم في قصيدته «منتصب القامة أمشي» والشاعر الفلسطيني توفيق زياد في قصيدته «هنا باقون» والشاعر الفلسطيني معين بسيسو في قصيدته «الأشجار تموت واقفة» والشاعر الجزائري مفدي زكريا في قصيدته «إلى فلسطين» والشاعر السوري نزار قباني في قصيدته «منشورات فدائية على جدران إسرائيل» والشاعر العراقي سعدي يوسف في قصيدته «التفنيد» والشاعر الأردني عبد الرحيم عمر في قصيدته «عيناك حلوتان» والشاعر الفلسطيني تميم البرغوثي في قصيدته الشهيرة «في القدس» والشاعرة الجزائرية وردة أيوب عزيزي في قصيدتها «القدس في عين شاعرة» والشاعر المصري محمد الشرقاوي في قصيدته «صوت الأقصى»، وغيرهم من الشعراء الذين جعلوا من الكلمة الشعرية وسيلة للمقاومة والدفاع عن الحق، وأسهموا في إبقاء القضية الفلسطينية حاضرة في الوعي الجمعي للأمة. [4]

غير أن الأدب الإسلامي تناول القضية الفلسطينية من منظور أشمل وأعمق؛ إذ لم ينظر إليها بوصفها قضية سياسية أو قومية فحسب، وإنما عدّها قضية إسلامية وإنسانية وحضارية تتصل بهوية الأمة ورسالتها ومقدساتها. ومن هنا أصبح الدفاع عن فلسطين والقدس جزءًا من رسالة الأدب الإسلامي، وصارت الكلمة الصادقة صورة من صور الجهاد الثقافي والمقاومة الفكرية في مواجهة محاولات الاحتلال طمس الهوية وتزييف الوعي وتشويه الحقائق.

وفي ظلّ ما شهدته الساحة الفلسطينية خلال العقود الأخيرة من اعتداءات متكررة وحروب متلاحقة، وما تعرض له الشعب الفلسطيني من حصار وقتل وتهجير، تجدد حضور شعر المقاومة بقوة في المشهد الأدبي الإسلامي، فهبّ الشعراء يعبرون عن وجدان الأمة، ويؤكدون حق الفلسطينيين في الحرية والكرامة والدفاع عن أرضهم ومقدساتهم، ويستنهضون الشعوب لاستعادة دورها في نصرة القضية الفلسطينية والوقوف إلى جانب أصحاب الحق.

ومن بين الشعراء الذين عبّروا عن هذا الوعي الإسلامي المقاوم يبرز الشاعر السوري الأستاذ عمر محمود ضوبع، الذي ارتبطت تجربته الشعرية بقضايا الأمة الإسلامية وهمومها الكبرى، واستلهم في كثير من قصائده معاني الإيمان والعزة والصمود والمقاومة. وقد استطاع أن يوظف موهبته الشعرية في خدمة القضايا الإسلامية والإنسانية، فجاء شعره معبرًا عن رؤية أدبية ملتزمة تجمع بين صدق العاطفة وسمو الرسالة وجمال التعبير، وتستحضر قيم الحق والحرية والكرامة في مواجهة الظلم والاحتلال. لذلك احتلت قضايا الأمة، وفي مقدمتها قضية فلسطين والقدس الشريف، مكانة بارزة في نتاجه الشعري، حيث تجلت في قصائده روح الانتماء الإسلامي والإيمان بحتمية انتصار الحق مهما اشتدت المحن وتكاثفت التحديات.

ويُعدّ «ديوان الشمائل» من أبرز أعمال الأستاذ عمر محمود ضوبع الشعرية، إذ يضمّ مجموعة من القصائد التي تعالج قضايا الأمة الإسلامية وتحدياتها الفكرية والحضارية والإنسانية، وتعكس موقف شاعرنا البارع من الواقع المعاصر وتطلعه إلى مستقبل أكثر عزّة وكرامة. ومن بين قصائد هذا الديوان[5] تبرز قصيدة «أبشري يا قدس» بوصفها نموذجًا متميزًا لشعر المقاومة في الأدب الإسلامي المعاصر.

وقد جاءت القصيدة محلّ الدراسة في أربعة وعشرين بيتًا (٢٤) شعريًا، عبّر فيها شاعرنا الموهوب عن مشاعر الألم تجاه ما تعانيه القدس وفلسطين من احتلال وعدوان، كما حملت بين ثناياها بشائر الأمل بقرب النصر والتحرير. وتجلّت فيها مجموعة من الملامح الفكرية والفنية التي تميز شعر المقاومة، مثل الاعتزاز بالهوية الإسلامية، والإيمان بعدالة القضية الفلسطينية، وتمجيد الصمود والتضحية، واستنهاض الهمم، واستحضار الرموز الإسلامية والتاريخية، فضلًا عن توظيف الصور الشعرية والإيقاع المؤثر والخطاب الحماسي الذي يعزز أثر القصيدة في المتلقي.

كما تكشف القصيدة عن وعي الشاعر بطبيعة الصراع بين الحق والباطل، وتؤكد أن المقاومة ليست مجرد مواجهة عسكرية فحسب، بل هي موقف إيماني وحضاري وثقافي شامل، يستند إلى الثبات على المبادئ والتمسك بالهوية والثقة بوعد الله تعالى بنصرة المؤمنين.

ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة الموسومة بـ:

"ملامح شعر المقاومة في الأدب الإسلامي المعاصر:

قصيدة «أبشري يا قدس» للشاعر السوري عمر محمود ضوبع أنموذجًا"

وتهدف إلى الكشف عن أبرز الملامح الفكرية والفنية لشعر المقاومة في هذه القصيدة، وبيان القيم الإسلامية التي تشكل بنيتها الدلالية، وتحليل الوسائل التعبيرية والجمالية التي وظفها الشاعر في بناء خطابه الشعري المقاوم، فضلًا عن إبراز دور الأدب الإسلامي المعاصر في الدفاع عن قضايا الأمة وترسيخ معاني الصمود والثبات والأمل في النفوس.

وانطلاقًا من أهمية هذه القصيدة وما تنطوي عليه من أبعاد فكرية وأدبية وجمالية، فقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسّم إلى تمهيد وستة مباحث وخاتمة، تتناول ملامح شعر المقاومة في القصيدة من جوانبها المختلفة، وتنتهي بأبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: نبذة عن حياة الشاعر عمر محمود ضوبع وآثاره الأدبية.

المبحث الثاني: ملامح التجربة الشعرية عند الشاعر عمر محمود ضوبع.

المبحث الثالث: الدلالة الموضوعية في عنوان القصيدة: «أبشري يا قدس».

المبحث الرابع: التيمة الرئيسة في قصيدة «أبشري يا قدس»

المبحث الخامس: الملامح الفنية في القصيدة «أبشري يا قدس»

المبحث السادس: دراسة تحليلية للمقاطع المختارة من قصيدة «أبشري يا قدس» من حيث الشكل والمضمون.

الخاتمة: وتتضمن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المبحث الأول :

نبذة عن حياة الأستاذ عمر محمود ضوبع

هو الشاعر والأديب السوري الأستاذ عمر محمود ضوبع، وُلد في مدينة دمشق عام ١٩٨١م، وترعرع في بيئة علمية وتربوية أصيلة في الغوطة الشرقية بريف دمشق، حيث تفتحت مواهبه الأولى في كنف العلم والقرآن. وقد جمع منذ نعومة أظفاره بين التعليم النظامي والدراسة الشرعية، فالتحق بمعهد الزهراء لتحفيظ القرآن الكريم، وتلقى علومه على أيدي نخبة من علماء الشام ومشايخها، وفي مقدمتهم الشيخ المربي سليمان علي الأفندي والشيخ عمر طه جمعة، فنهل منهما الفقه الشافعي ومصطلح الحديث وعلم التجويد، وتزوّد بشيء من علوم التفسير.

كما قرأ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم على الشيخ المقرئ عبد الرزاق الحلبي الدمشقي الحنفي رحمه الله في الجامع الأموي بدمشق، وتتلمذ كذلك على الشيخ المقرئ محمد السيد إسماعيل العربيني رحمه الله، مما أسهم في صقل شخصيته العلمية والقرآنية، وأكسبه صلة وثيقة بكتاب الله تعالى وعلومه.

وفي مسيرته الأكاديمية التحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة دمشق، قسم اللغة العربية، وتخرج فيها عام ٢٠٠٩م. وخلال دراسته الجامعية حظي بشرف التتلمذ على يد المحدث الكبير الدكتور نور الدين عتر رحمه الله، فدرس عليه كتابي «علوم القرآن الكريم» و«منهج النقد في علوم الحديث»، وهما من أبرز مؤلفاته العلمية، الأمر الذي ترك أثرًا واضحًا في تكوينه المعرفي ومنهجه العلمي.

وبعد تخرجه اتجه إلى ميدان التعليم، فعمل مدرسًا للغة العربية وعلومها، جامعًا بين التخصص الأكاديمي والاهتمام العميق بالعلوم الشرعية والأدبية. وقد شكّلت أحداث الثورة السورية وما رافقها من نزوح وتهجير محطة مؤثرة في حياته، غير أنها لم تَحُلْ دون مواصلة رسالته التعليمية والتربوية؛ إذ استمر في أداء دوره العلمي في المدارس والمساجد التي تنقّل بينها في ريف دمشق وإدلب وحلب، وأسهم في العديد من البرامج التعليمية والاجتماعية والنفسية الهادفة إلى دعم الأطفال والناشئة وتخفيف آثار الحرب عنهم.

ومنذ شبابه المبكر ارتبط وجدانه بالأدب العربي والشعر، فكان الشعر أحد أبرز ميادين إبداعه، وبرز اهتمامه بالشعر التعليمي والمديح النبوي، حيث جمع جانبًا من إنتاجه الشعري في «ديوان الشمائل»، كما نظم عددًا من المنظومات الشعرية التي تعكس ثقافته الشرعية والأدبية وحرصه على توظيف الشعر في خدمة القيم الإسلامية والرسالة التربوية، ومن أبرز تلك المنظومات:

١- ديوان الشمائل (ديوان شعر عربي فصيح موزون)

٢- الأنوار المستَمَدَّة من تخميس البردة

٣- اللؤلؤة الفريدة في الأخلاق الحميدة

٤- الجَنَى القَريب من مُغني اللّبيب (وهي نظم شعري لكتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري)

٥- قِصَص مدرسيَّة مُعبِّرة

٦- جَنَى الجَنّتَيْنِ من علوم اللغة والدين (وهو مجموع منشورات مختارة من علوم القرآن الكريم وفقه اللغة العربية وآدابها)

كما أسّس شاعرنا الغالي صفحة «لوحات من علوم العربية»[6] على وسائل التواصل الاجتماعي، التي تُعنى بنشر علوم العربية وآدابها، وحظيت بمتابعة واسعة.

وتبرز مسيرته العلمية والأدبية ملامح شخصية متكاملة جمعت بين التكوين الشرعي الرصين، والتمكن من أدوات اللغة العربية، والخبرة التربوية الميدانية، وهو ما انعكس جليًا في نتاجه الشعري والفكري. ويُعدُّ مؤلفه «الأرجوزة السمية من الشمائل المحمدية» نموذجًا بارزًا لهذا التداخل المعرفي؛ إذ يمثل امتدادًا معاصرًا لتقليد الشعر التعليمي، ويوظف الفن الشعري في خدمة السيرة النبوية العطرة والتعريف بالشمائل المحمدية بأسلوب يجمع بين الفائدة والجمال.

كما تركت المأساة السورية بما حملته من نزوح وتهجير وتشريد بصماتها العميقة على تجربته الإنسانية والأدبية، فوجد نفسه يواجه تحديات استثنائية أثّرت في مسيرته العلمية وأعاقت إنجاز عدد من مشاريعه الفكرية والشعرية. غير أن تلك المحن لم تُطفئ جذوة الإبداع في نفسه، بل أسهمت في صقل رؤيته وتعميق تجربته. وقد عبّر الشاعر عن تلك المرحلة المؤلمة بقوله:

"أربع عشرة سنة مرّت علينا في سوريا من الحرب والدمار والنزوح والتشرد حالت بيني وبين طباعة ما كنت أكتبه، حتى منعتني من إنجاز كثير مما بدأت بتأليفه، مرّت علينا فترات طويلة قضيناها تحت الأنفاق أو بين الأشجار أو في الخيم".[7]

وتكشف هذه الشهادة عن جانبٍ مؤثر من المعاناة التي طبعت مسيرته الحياتية والإبداعية، كما تبرز ما تحلّى به من صبرٍ وثباتٍ وإصرارٍ على مواصلة رسالته العلمية والتربوية والأدبية رغم قسوة المحن وتقلبات الظروف. وقد انعكست هذه التجربة الإنسانية العميقة في شعره، فأكسبته صدقًا وجدانيًا وحرارةً شعوريةً واضحة، وجعلت نصوصه أكثر التصاقًا بقضايا الأمة وآلام الإنسان المسلم المعاصر، وأكثر تعبيرًا عن هموم الواقع وتحدياته وآماله في التغيير والنهوض.

المبحث الثاني :

ملامح التجربة الشعرية عند الأستاذ عمر محمود ضوبع

تكشف سيرة الأستاذ عمر محمود ضوبع الشعرية عن تجربة أدبية نمت في رحاب التراث العربي الأصيل، وتشكّلت ملامحها الأولى من خلال شغفه المبكر باللغة العربية وعلوم الشريعة وآداب العرب. ولم يكن ارتباطه بالشعر نتيجة التأثر بشاعر بعينه بقدر ما كان استجابةً لميل فطري نحو البيان والكلمة الموزونة، نما وترسّخ في بيئة علمية وتربوية أسهمت في صقل موهبته وتوجيهها.

وفي مراحل تكوينه الأولى وجد في شعر الإمام الشافعي معينًا ثرًّا للحكمة والتهذيب، فاستوقفته معانيه السامية وأسلوبه الرصين ونزعته الأخلاقية، حتى أقبل على حفظ معظم ديوانه، متأثرًا بما يحمله من قيم تربوية وإنسانية رفيعة. ثم اتسعت آفاقه الشعرية بقراءته لشعر المتنبي، حيث استهواه ما فيه من قوة التعبير وجزالة اللفظ وعمق المعنى، قبل أن يقوده شغفه باللغة في المرحلة الجامعية إلى اكتشاف الشعر الجاهلي، الذي أدرك فيه المنبع الأول للذائقة العربية ومصدرًا أساسيًا لعناصر القوة الفنية في الشعر العربي.

وقد ترك هذا التكوين التراثي أثرًا بيّنًا في تجربته الشعرية؛ إذ ظل متمسكًا بالبناء العمودي وأوزان الخليل، حريصًا على سلامة اللغة ومتانة السبك ورصانة الأسلوب. ويتجلى ذلك بوضوح في أرجوزته المتميزة، التي تستلهم روح التراث الشعري العربي في لغتها وإيقاعها وصورها الفنية، وتوظف الشعر التعليمي توظيفًا فنيًا لخدمة السيرة النبوية والشمائل المحمدية.

كما تعكس آراؤه النقدية انتماءً واضحًا إلى المدرسة الشعرية المحافظة، وإيمانًا عميقًا بأهمية المحافظة على المقومات الفنية التي قامت عليها القصيدة العربية عبر تاريخها الطويل. فهو يرى أن الوزن والقافية ليسا مجرد إطار شكلي، بل عنصران أساسيان في تشكيل الجمال الشعري وصياغة الإيقاع المؤثر، ولذلك ينظر بتحفظ إلى كثير من التجارب الشعرية الحديثة التي تخلّت عن هذه الخصائص، وعدّ ذلك سببًا في إضعاف البناء الفني للشعر وفقدانه جانبًا من فخامته وبلاغته.

ومن ثمّ، تبدو تجربة عمر محمود ضوبع امتدادًا معاصرًا للاتجاه الإحيائي المحافظ في الشعر العربي، ذلك الاتجاه الذي يستلهم التراث ويستعيد قيمه الفنية والجمالية، مع توظيفها في التعبير عن قضايا العصر وهمومه، ولا سيما القضايا التربوية والدينية والوجدانية.

وقد تأثر في هذا المسار بكبار شعراء الحكمة والجزالة، وفي مقدمتهم الإمام الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ/٧٦٧-٨٢٠م) والمتنبي (٣٠٣-٣٥٤هـ/٩١٥-٩٦٥م) وأحمد شوقي (١٨٦٨-١٩٣٢م) ومحمد بن سعيد البوصيري (٦٠٨-٦٩٦هـ/١٢١١-١٢٩٦م) ومحمود سامي البارودي (١٨٣٩-١٩٠٤م) ومحمد مهدي الجواهري (١٨٩٩-١٩٩٧م) وهي تأثيرات أسهمت في تشكيل ملامح صوته الشعري وإكسابه خصوصيته الفنية ضمن إطار الأصالة والالتزام.

المبحث الثالث :

الدلالة الموضوعية في عنوان القصيدة: «أبشري يا قدس»

يُعدُّ عنوان القصيدة 'أبشري يا قدس' عتبةً نصيةً بالغة الأهمية؛ إذ يشكل المدخل الرئيس إلى عالَم القصيدة الفكري والوجداني، ويكشف منذ الوهلة الأولى عن طبيعة الرؤية التي يتبناها شاعرنا القدير تجاه القضية الفلسطينية.

وقد جاء العنوان في صيغة خطاب مباشر موجَّه إلى القدس، مما يضفي عليه طابعًا حيويًا ويجعل المدينة المقدسة حاضرةً بوصفها مخاطبًا حيًّا يتفاعل معه الشاعر وجدانيًا وفكريًا.

ويبدأ العنوان بفعل الأمر 'أبشري' وهو فعل يحمل في دلالته معاني التفاؤل والرجاء وانتظار الخير. ولم يختر شاعرنا العبقري ألفاظًا توحي بالحزن أو الشكوى أو الاستغاثة، على الرغم من الواقع الأليم الذي تعيشه القدس وفلسطين، بل اختار لفظًا مشرقًا يعكس ثقته بالمستقبل وإيمانه بقرب الفرج. ومن ثمّ فإن العنوان يمثل إعلانًا مبكرًا عن الرؤية التفاؤلية التي تقوم عليها القصيدة، ويؤسس منذ البداية لخطاب مقاوم يرفض الاستسلام لليأس أو الخضوع لواقع الاحتلال.

أما لفظ 'القدس' فيحمل دلالات دينية وحضارية عميقة؛ فهو لا يشير إلى مدينة جغرافية فحسب، بل يرمز إلى العقيدة والهوية والتاريخ والذاكرة الجماعية للأمة الإسلامية. ولذلك فإن مخاطبة القدس في العنوان تعني في الوقت نفسه مخاطبة فلسطين، ومخاطبة الأمة الإسلامية بأسرها، واستحضار ما تمثله هذه المدينة المباركة من مكانة راسخة في وجدان المسلمين.

كما يكشف العنوان عن إحدى أبرز تجليات المقاومة الإسلامية في القصيدة، وهي مقاومة اليأس والإحباط من خلال بث روح الأمل والثقة بالنصر. فالبشارة الواردة في العنوان ليست مجرد أمنية

عاطفية، وإنما تعبير عن يقين راسخ بأن الاحتلال إلى زوال، وأن فجر الحرية والتحرير آتٍ مهما اشتدت المحن وطال أمد المعاناة.

ومن الناحية الفنية، يمتاز العنوان بالقصر والتركيز والوضوح، الأمر الذي يجعله سهل الحفظ والتداول، ويمنحه قدرة كبيرة على جذب انتباه المتلقي وإثارة فضوله. كما أن اقتران فعل البشارة باسم القدس يخلق منذ البداية حالة من الترقب لمعرفة طبيعة هذه البشارة وأسبابها، وهو ما يدفع القارئ إلى متابعة القصيدة واستكشاف مضامينها.

وخلاصة القول أن عنوان 'أبشري يا قدس' ليس مجرد تسمية للقصيدة، بل هو مفتاح دلالي يكثف رسالتها الفكرية والوجدانية، ويختزل مضمونها العام القائم على الأمل والمقاومة والثقة بالنصر. ومن ثمّ جاء العنوان منسجمًا تمام الانسجام مع موضوع القصيدة ومحورها الرئيس، وأسهم في توجيه المتلقي إلى فهم رؤيتها القائمة على الصمود والتفاؤل واستشراف مستقبل مشرق للقدس وفلسطين.

المبحث الرابع :

التيمة الرئيسة في قصيدة «أبشري يا قدس»

تتمثل التيمة الرئيسة في قصيدة «أبشري يا قدس» في تجليات المقاومة الإسلامية بوصفها موقفًا إيمانيًا وحضاريًا متكاملًا يقوم على الصمود والثبات والتضحية، ويستمد مقوماته من العقيدة الإسلامية والثقة بوعد الله تعالى، واليقين بحتمية انتصار الحق وزوال الباطل. فالقصيدة لا تقتصر على تصوير معاناة الشعب الفلسطيني وما يتعرض له من قتل وتشريد وحصار، بل تتجاوز ذلك إلى بناء خطاب مقاوم يهدف إلى ترسيخ الأمل في النفوس، واستنهاض الأمة الإسلامية للقيام بمسؤولياتها تجاه مقدساتها وقضاياها المصيرية.

وقد جعل شاعرنا المرموق من القدس الشريف محورًا لهذا الخطاب، بوصفها رمزًا للعقيدة والهوية والانتماء الحضاري، فخاطبها بلغة البشارة والتفاؤل، مؤكدًا أن ظلام الاحتلال مهما طال لا بد أن يعقبه فجر التحرير والانتصار. وفي الوقت نفسه كشف عن حجم المأساة التي تعيشها غزة وفلسطين، ووجّه نقدًا صريحًا لمواقف الصمت والتقاعس، داعيًا إلى الانتقال من دائرة التعاطف اللفظي إلى دائرة الفعل والعمل والنصرة.

كما تتجلى في القصيدة معاني الصبر والمصابرة والفداء والاستعداد للتضحية في سبيل الدفاع عن الأرض والمقدسات، حيث يرسم شاعرنا الكبير صورة المقاوم المؤمن الذي لا يخشى الموت ولا ترهبه التهديدات، لأنه يسير على هدى من الله، ويستمد قوته من إيمانه بعدالة قضيته وسمو رسالته. ومن هنا

تتحول المقاومة في القصيدة من مجرد مواجهة عسكرية إلى مشروع أخلاقي وإيماني وحضاري يهدف إلى حفظ الكرامة الإنسانية وصيانة الهوية الإسلامية.

وتبرز كذلك في القصيدة تيمة استحضار الذاكرة التاريخية للأمة من خلال استدعاء الرموز الإسلامية المشرقة، وفي مقدمتها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بما يحمله هذا الرمز من دلالات العزة والعدل والفتح والانتصار. ويؤكد الشاعر من خلال هذا الاستحضار أن الأمة التي صنعت أمجاد الماضي قادرة على صناعة مستقبلها واستعادة مكانتها متى تمسكت بقيمها ومبادئها.

وتنتهي القصيدة بتأكيد اليقين بانبلاج فجر الحرية وزوال الاحتلال، حيث ينتصر الأمل على اليأس، والثبات على الانكسار، والإيمان على الخوف. وبذلك تتجسد التيمة الرئيسة للقصيدة في الإيمان بالمقاومة الإسلامية بوصفها سبيلًا للتحرير والنهضة واستعادة الكرامة، وفي الثقة بأن المستقبل للحق وأهله مهما اشتدت المحن وتعاظمت التضحيات.

المبحث الخامس :

الملامح الفنية في القصيدة «أبشري يا قدس»

ومن الجوانب الفنية اللافتة في قصيدة «أبشري يا قدس» طريقة بنائها الشكلي التي تكشف عن وعي شاعرنا القدير الأستاذ عمر محمود ضوبع بأهمية الإيقاع في الشعر المقاوم. فقد قسّم الشاعر القصيدة إلى اثني عشر مقطعًا، يتألف كل مقطع من أربعة أشطر، اتفقت الأشطر الثلاثة الأولى في قافية واحدة، بينما خُتم كل مقطع بشطر رابع ثابت جاء بمثابة لازمة إنشادية تتكرر في جميع المقاطع وتنتهي بقافية الضاد الساكنة. وقد منح هذا التكرار القصيدة وحدةً موسيقية واضحة، وجعلها أقرب إلى الأناشيد الجماعية التي يسهل حفظها وترديدها، وهو أمر يتناسب مع طبيعة شعر المقاومة الذي يسعى إلى الانتشار بين الجماهير والتأثير في وجدانهم.

ولا يبدو هذا التقسيم مجرد اختيار شكلي أو هندسة خارجية للقصيدة، بل يؤدي وظيفة فنية ودلالية مهمة؛ فالأشطر الثلاثة الأولى في كل مقطع تتحرك بإيقاع متجدد يعبر عن انفعالات شاعرنا المتفرد وأفكاره وصوره الشعرية، ثم تأتي اللازمة في الشطر الرابع لتؤدي دور الوقفة الموسيقية التي يستقر عندها الإيقاع قبل أن يبدأ مقطع جديد. وبهذا تتولد حركة فنية تشبه حركة الأمواج؛ إذ تتصاعد النغمة الشعرية عبر الأشطر الأولى، ثم تهدأ وتستقر في نهاية المقطع عند اللازمة المتكررة. ومن ثم فإن شاعرنا المبدع يحقق نوعًا من التوازن بين التنوع والتكرار، وبين الحركة والسكون، وهو توازن يسهم في شد انتباه المتلقي والمحافظة على تماسك النص.

وتزداد قيمة هذه اللازمة الفنية إذا نظرنا إليها في ضوء طبيعة القصيدة بوصفها قصيدة مقاومة موجهة إلى القدس. فاللازمة المتكررة لا تقوم بوظيفة إيقاعية فحسب، بل تؤدي أيضًا وظيفة نفسية ومعنوية، إذ تعمل على ترسيخ الرسالة الأساسية للقصيدة في ذهن المتلقي، وتؤكد حالة التفاؤل والثقة بالنصر التي يريد الشاعر بثها في النفوس. ولذلك تبدو اللازمة وكأنها شعار يتردد على امتداد القصيدة، ليجمع المقاطع المختلفة في إطار شعوري وفكري واحد.

أما من الناحية العروضية، فقد اختار شاعرنا المتميز بحر مشطور المتدارك لبناء قصيدته. ويُعدّ هذا البحر من البحور الخفيفة السريعة الإيقاع، وهو أكثر قدرة على التكيف مع الألحان والإنشاد من كثير من البحور الطويلة ذات النفس الممتد. وتقوم موسيقاه على تفعيلة 'فاعلن' المتكررة، مما يضفي على النص حركة إيقاعية متدفقة تتناسب مع الأجواء الحماسية التي تميز شعر المقاومة. كما أن قصر الشطر وسرعة الإيقاع يسهمان في تقريب القصيدة من المتلقي، ويجعلانها أكثر قابلية للحفظ والترديد.

ومن هنا يمكن القول إن شاعرنا المرموق لم يكتفِ بتقديم مضمون مقاوم يدعو إلى الصمود والأمل وتحرير القدس، بل حرص كذلك على أن يكون البناء الفني خادمًا لهذا المضمون. فجاء التقسيم المقطعي، واللازمة المتكررة، واختيار بحر مشطور المتدارك عناصر متكاملة أسهمت جميعها في تحويل القصيدة إلى أنشودة شعرية نابضة بالحركة والإيقاع، قادرة على إيصال رسالتها الفكرية والعاطفية إلى المتلقي بأكبر قدر من التأثير والإقناع.

المبحث السادس :

دراسة تحليلية للمقاطع المختارة من قصيدة «أبشري يا قدس» من حيث الشكل والمضمون

نظرًا لطول القصيدة، ولتجنُّب الإطالة، اقتصرنا على دراسة المقاطع الأول، والثاني، والثالث، والثاني عشر؛ لما تمثله من محاور فكرية وفنية تعكس البناء العام للقصيدة، وتبرز أبرز خصائصها الدلالية والجمالية. ويهدف هذا المبحث إلى الوقوف على السمات الفنية والفكرية في هذه المقاطع المختارة من خلال دراسة متكاملة تجمع بين الشكل والمضمون؛ إذ يتناول جانب المضمون للكشف عن الأفكار والمعاني والقيم التي بثها الشاعر، وما تحمله من أبعاد دينية ووطنية. ومن خلال هذا التحليل تتضح العلاقة الوثيقة بين الشكل والمضمون في القصيدة؛ إذ جاءت العناصر الفنية من لغة وصور وإيقاع متآزرة مع المعاني، بما يعكس قدرة شاعرنا القدير على توظيف أدواته الفنية لخدمة رسالته الشعرية، وإحداث الأثر الوجداني والفكري في المتلقي.

دراسة تحليلية للمقطع الأول :

يفتتح شاعرنا المتفرد قصيدته بخطاب مباشر موجَّه إلى القدس، فيقول:

قُدسَنا أبشري ... بالغدِ المزهِرِ
قاومي واصبري ... نحنُ جيلُ انتفاض[8]

ويكشف هذا المطلع منذ اللحظة الأولى عن أحد أبرز ملامح شعر المقاومة في الأدب الإسلامي المعاصر، وهو الجمع بين المقاومة والأمل. فالشاعر لا يبدأ بوصف المآسي أو تعداد مظاهر الاحتلال، بل يفتتح قصيدته بلغة البشارة والتفاؤل، مؤكدًا أن المستقبل يحمل وعدًا بالخلاص والتحرير. وقد جاء فعل الأمر 'أبشري' ليعبر عن يقين الشاعر بأن معاناة القدس ليست حالة دائمة، وأن فجر النصر آتٍ مهما طال ليل الاحتلال. أما وصف الغد بـ'المزهر' فيوحي بالحياة والنماء والتجدد، ويشكل صورة مضادة لصور الخراب والدمار التي يحاول الاحتلال فرضها على الواقع الفلسطيني.

ثم ينتقل شاعرنا المبدع إلى الدعوة الصريحة للمقاومة والثبات من خلال قوله: 'قاومي واصبري'، جامعًا بين ركنين أساسيين من أركان الخطاب المقاوم في الأدب الإسلامي؛ فالمقاومة تمثل الجانب العملي المتمثل في رفض الظلم ومواجهة المحتل، بينما يمثل الصبر الجانب الإيماني والأخلاقي الذي يمنح المقاومة القدرة على الاستمرار وتحمل التضحيات. ومن هنا تبدو المقاومة في القصيدة ليست مجرد رد فعل سياسي أو عسكري، وإنما موقف حضاري وإيماني يستند إلى الثقة بالله والإيمان بعدالة القضية.

ويتجلى البُعد الجماعي للمقاومة في قوله: 'نحنُ جيلُ انتفاض'، حيث يخرج شاعرنا العبقري من دائرة الخطاب الفردي إلى فضاء الأمة والجماعة. فضمير الجمع 'نحن' يؤكد أن قضية القدس ليست شأنًا خاصًا بأهلها وحدهم، بل قضية أمة بأسرها. كما أن التعبير بـ'جيل انتفاض' يوحي بالحيوية والحركة والتجدد، ويعكس إيمان الشاعر بقدرة الأجيال الجديدة على حمل رسالة التحرير ومواصلة طريق النضال. ويُعدّ هذا المعنى من السمات البارزة في شعر المقاومة الإسلامي الذي يركز على صناعة الوعي الجماعي وربط الأفراد بقضايا أمتهم الكبرى.

ومن الناحية الفنية، اعتمد الشاعر أسلوب الإنشاء الطلبي من خلال أفعال الأمر: 'أبشري'، و'قاومي'، و'اصبري'، وهي أفعال تمنح النص طاقة حركية واضحة وتنسجم مع طبيعة الشعر المقاوم الذي لا يكتفي بتصوير الواقع، بل يسعى إلى تغييره وتحفيز المتلقي على اتخاذ موقف إيجابي منه. كما أن تتابع هذه الأوامر في بداية القصيدة يخلق جوًا من الحماس والتعبئة النفسية، ويجعل المتلقي شريكًا في التجربة الشعورية التي ينقلها الشاعر.

أما الصورة الشعرية في هذا المقطع فتقوم على الرمز والإيحاء أكثر من اعتمادها على الوصف المباشر؛ إذ جسّد الشاعر القدس في صورة مخاطَب حيّ يسمع ويشعر ويستجيب، وهو ما يُعرف بالتشخيص، مما يضفي على المدينة بُعدًا إنسانيًا وعاطفيًا ويقوي الصلة الوجدانية بينها وبين المتلقي. كذلك فإن صورة 'الغد المزهر' تحمل دلالة رمزية تتجاوز معناها الحرفي لتشير إلى التحرير والنصر واستعادة الحقوق.

وعلى المستوى الموسيقي، جاءت قافية المقطع على الراء المكسورة، وهي قافية ذات جرس موسيقي رقيق ومنساب يتناسب مع جو التفاؤل والبشارة الذي يهيمن على الأبيات. كما أن نظم القصيدة على بحر مشطور المتدارك أكسبها إيقاعًا سريعًا وخفيفًا يتلاءم مع طبيعتها الإنشادية، ويعزز قدرتها على التأثير والحفظ والترديد. ولا يقتصر دور الموسيقى هنا على الجانب الجمالي، بل تؤدي وظيفة دلالية تسهم في ترسيخ معاني الصمود والأمل في وجدان المتلقي.

ويظهر في هذا المقطع توازن واضح بين الشكل والمضمون؛ فالمعاني المقاومة القائمة على الصبر والثبات والأمل جاءت في إطار فني منسجم معها. فالأفعال الحركية، والإيقاع السريع، والقافية المنسجمة، والخطاب المباشر، كلها عناصر شكلية خدمت الرسالة الفكرية للقصيدة، وأسهمت في إبراز روح المقاومة التي أراد الشاعر غرسها في النفوس.

وبذلك ينجح شاعرنا المرموق في أن يجعل من المقطع الأول مدخلًا فنيًا وفكريًا للقصيدة كلها، حيث تتجلى فيه أهم مرتكزات شعر المقاومة في الأدب الإسلامي المعاصر: الإيمان بعدالة القضية، والتفاؤل بالمستقبل، والدعوة إلى الصمود والمقاومة، وتعزيز روح الانتماء الجماعي للأمة، وهي معانٍ ستظل حاضرة في سائر مقاطع القصيدة بوصفها المحور الرئيس الذي تدور حوله تجربتها الشعرية.

دراسة تحليلية للمقطع الثاني :

يبرز في هذا المقطع ملمحٌ مهم من ملامح شعر المقاومة في الأدب الإسلامي المعاصر، يتمثل في استحضار التاريخ المشرق للأمة الإسلامية وربطه بالأمل في المستقبل. يقول شاعرنا الكبير:

فَغَدًا يُقبِلُ ... مَجدُنا الأوَّلُ

وَالرَّدَى يَرحَلُ ... وَهْوَ خالي الوِفاضْ[9]

ينطلق الشاعر من رؤية متفائلة للمستقبل، مؤكّدًا أن المجد الإسلامي الذي عرفته الأمة في مراحل قوتها وحضارتها ليس مجرد ذكرى من الماضي، بل حقيقة يمكن أن تعود من جديد. ويكشف التعبير 'مجدنا الأول' عن ارتباط الشاعر بالهوية الإسلامية والتاريخ الحضاري للأمة، كما يعكس إيمانه بأن الأمة تمتلك من المقومات الروحية والحضارية ما يؤهلها لاستعادة مكانتها ودورها الرسالي.

ويمثل استحضار الأمجاد التاريخية أحد أبرز ملامح شعر المقاومة الإسلامي؛ إذ لا ينظر الشاعر إلى الواقع من زاوية الضعف والانكسار فحسب، وإنما يستمد من التاريخ عناصر القوة والثقة والقدرة على النهوض. ومن ثم يتحول الماضي إلى مصدر إلهام يحفز الأمة على مواصلة طريق المقاومة وعدم الاستسلام للواقع المفروض عليها.

وفي الشطر الثاني ينتقل الشاعر إلى تصوير مصير الاحتلال تصويرًا رمزيًا بليغًا، فيقول: 'والردى يرحل'. وقد شخّص الشاعر الردى وجعله كائنًا قادرًا على الرحيل، في صورة توحي بانتهاء عهد الظلم والعدوان. والمراد بالردى هنا ما ارتبط بالاحتلال من قتل ودمار وقهر ومعاناة. أما قوله: 'وهو خالي الوفاض' فيؤكد أن هذا الرحيل سيكون رحيل المهزوم الخاسر الذي لم يحقق غاياته ولم ينجح في طمس هوية الأرض أو كسر إرادة أصحابها.

ومن الناحية الفنية، يلاحظ اعتماد الشاعر على الألفاظ ذات الدلالات الإيجابية والقوية مثل: 'غدًا'، و'مجدنا'، و'يقبل'، وهي ألفاظ تبعث في النفس مشاعر الأمل والثقة. وفي المقابل جاءت ألفاظ مثل: 'الردى' و'يرحل' لتصوير مصير المحتل تصويرًا قائمًا على الزوال والانتهاء. ومن خلال هذا التقابل بين الإقبال والرحيل، وبين المجد والردى، تتشكل حركة دلالية تعزز رسالة القصيدة القائمة على التفاؤل بالنصر وهزيمة الاحتلال.

أما موسيقيًا، فقد جاءت قافية المقطع على اللام المضمومة، وهي قافية تتسم بجرس قوي واضح ينسجم مع نبرة الثقة واليقين التي تسيطر على المقطع. كما يواصل بحر مشطور المتدارك أداء دوره في إضفاء إيقاع سريع وحيوي يتلاءم مع طبيعة الخطاب المقاوم.

ويتجلى التوازن بين الشكل والمضمون في هذا المقطع بصورة واضحة؛ فالمعاني المرتبطة بعودة المجد وزوال الاحتلال جاءت في صياغة موجزة قوية، مدعومة بألفاظ حركية مثل 'يقبل' و'يرحل'، وبصور فنية قائمة على التشخيص والتقابل، مما جعل البناء الفني خادمًا للرسالة الفكرية. وهكذا يعكس المقطع أحد الملامح الأساسية لشعر المقاومة في الأدب الإسلامي المعاصر، وهو الإيمان بحتمية النصر واستعادة الأمة لمجدها الحضاري مهما طال زمن الاحتلال.

دراسة تحليلية للمقطع الثالث :

يمثّل هذا المقطع مرحلة متقدمة في البناء الشعري للقصيدة، إذ ينتقل فيه شاعرنا المتألق من بثّ روح الأمل والثقة بالنصر إلى مواجهة الواقع الأليم الذي تعيشه غزة، كاشفًا بشجاعة عن حجم المأساة الإنسانية، ومُدينًا حالة الصمت والعجز التي أحاطت بها. وبهذا يجسد المقطع أحد أبرز ملامح

شعر المقاومة في الأدب الإسلامي المعاصر، وهو الجمع بين تصوير المأساة، وفضح الظلم، واستنهاض الأمة للقيام بواجبها الحضاري والأخلاقي تجاه قضاياها المصيرية. يقول الشاعر:

غَزَّةٌ تُنْحَرُ ... وَالوَرَى يَنظُرُ

أينَ مَنْ شَمَّرُوا ... ليسَ يَكفي اعتِرَاضْ[10]

يفتتح شاعرنا المتفرد هذا المقطع بصورة شعرية شديدة التأثير، يختزل فيها مشهدًا كاملًا من مشاهد المأساة التي تعيشها غزة، إذ يصورها في هيئة ضحية تُذبح أمام أعين العالم. وقد جاء اختيار الفعل 'تُنحر' اختيارًا بالغ الدقة؛ لأن النحر لا يدل على مجرد القتل، وإنما يوحي بالقسوة والوحشية والتجرد من الرحمة، بما يحمله من إيحاءات دموية مؤلمة تستثير مشاعر المتلقي، وتدفعه إلى استشعار حجم الجريمة المرتكبة بحق المدنيين الأبرياء.

ولم يقتصر البناء التصويري على إبراز فعل العدوان، بل عمّق الشاعر مأساوية المشهد بإضافة عنصر آخر لا يقل قسوة، وهو موقف البشرية في قوله: 'والورى ينظر'. فكلمة 'الورى' جاءت عامةً لتشمل الناس جميعًا، بما فيهم أصحاب القرار والقوى المؤثرة في المجتمع الدولي، وكأن الشاعر يريد أن يحمل الإنسانية جمعاء مسؤولية التقاعس عن نصرة المظلومين. وهنا تتولد مفارقة مؤلمة بين بشاعة الجريمة وسلبية المتفرجين، فتتحول الصورة إلى مشهد إنساني تتقابل فيه الضحية المستضعفة مع عالم يكتفي بالمشاهدة دون تدخل، وهو ما يمنح البيت طاقةً شعوريةً عاليةً، ويجعل أثره النفسي بالغ العمق.

وتُعدُّ هذه الصورة من أبرز صور شعر المقاومة؛ لأنها لا تكتفي بتسجيل الحدث، بل تتجاوزه إلى محاكمة الضمير الإنساني، وكشف التناقض بين الشعارات التي تتغنى بحقوق الإنسان والعدالة، وبين الواقع الذي تُرتكب فيه المجازر أمام مرأى العالم ومسمعه. ومن هنا يصبح الشعر وسيلةً للمساءلة الأخلاقية، ومنبرًا لفضح الاحتلال ومن يسانده بالصمت أو التواطؤ، وهو ما ينسجم مع رسالة الأدب الإسلامي في الدفاع عن الحق، والانتصار للمستضعفين، وإيقاظ الضمير الإنساني.

ومن خلال هذا التصوير المؤثر، يكشف شاعرنا الكبير عن أحد أهم وظائف شعر المقاومة في الأدب الإسلامي المعاصر، وهو بناء الوعي بقضايا الأمة، وربط المتلقي وجدانيًا وأخلاقيًا بالأحداث الجارية، حتى لا يتحول الألم إلى خبر عابر أو مشهد مألوف. فالشاعر لا يقف عند حدود الوصف والتسجيل، وإنما يسعى إلى تحويل القصيدة إلى صوتٍ حيٍّ يوقظ الضمائر، ويستنهض الهمم، ويبعث الشعور بالمسؤولية تجاه الأرض والإنسان والمقدسات.

وبعد أن يرسم صورة المأساة، ينتقل شاعرنا المبدع انتقالًا طبيعيًا إلى خطاب مباشر يحمل طابع المحاسبة والاستنهاض، فيقول: 'أين من شمَّروا'. والاستفهام هنا ليس استفهامًا حقيقيًا يقصد به طلب

الجواب، وإنما هو استفهام إنكاري تحريضي، يحمل في طياته معاني العتاب والتوبيخ، ويهدف إلى تحريك الساكن، وإثارة روح المبادرة في نفوس أبناء الأمة.

وقد جاء اختيار الفعل 'شمَّروا' موفقًا؛ لأنه من الألفاظ العربية ذات الدلالة الحركية القوية، إذ يُستعمل في مقام الاستعداد لبذل الجهد، والإقدام على الأعمال الجليلة، وتحمل المشاق في سبيل الغايات الكبرى. ولذلك فإن الشاعر لا يبحث عن المتفرجين ولا عن أصحاب الخطابات، وإنما يبحث عن أصحاب الهمم العالية الذين يتحول إيمانهم بالقضية إلى عمل وتضحية وبذل.

ثم يحسم شاعرنا الكبير موقفه في الشطر الثاني بقوله: 'ليس يكفي اعتراض'، وهي عبارة قصيرة في ألفاظها، عميقة في دلالاتها، تحمل رفضًا واضحًا للاكتفاء بالمواقف الشكلية، أو بيانات الشجب والاستنكار التي تبقى حبيسة الكلمات، دون أن تتحول إلى مواقف عملية تُحدث أثرًا حقيقيًا في واقع الأمة. ومن ثم فإن الشاعر يميز بين الاعتراض بوصفه موقفًا لفظيًا محدود الأثر، وبين الفعل الإيجابي الذي يترجم المسؤولية إلى واقع ملموس.

وتعكس هذه الرؤية جوهر الأدب الإسلامي المقاوم، الذي لا يكتفي بإثارة العاطفة، وإنما يسعى إلى بناء الإنسان الفاعل، وربط الكلمة بالعمل، والإيمان بالسلوك، والشعور بالمسؤولية. فالمقاومة في هذا التصور ليست مجرد انفعال وجداني، وإنما هي مشروع حضاري وأخلاقي يقوم على نصرة الحق، ومواجهة الظلم، والسعي الجاد إلى تغيير الواقع بكل الوسائل المشروعة.

ومن الناحية الفنية، تميز هذا المقطع بكثافة التعبير، والاقتصاد في الألفاظ، مع اتساع الدلالة وعمق الإيحاء، وهي سمة بارزة في الشعر المقاوم؛ إذ تحمل الألفاظ القليلة معاني واسعة تتجاوز ظاهرها المباشر. كما اعتمد الشاعر على التشخيص، فجعل غزة كائنًا حيًا يتعرض للنحر، وهو تصوير يجسد المعاناة الإنسانية في صورة محسوسة، ويقربها من وجدان المتلقي، فيزداد تأثيرها النفسي والوجداني.

ويبرز كذلك حسن توظيف الأساليب الإنشائية، ولا سيما الاستفهام الإنكاري، الذي خرج من معناه الأصلي إلى أغراض بلاغية متعددة، منها التوبيخ، والتحريض، والاستنهاض، مما أضفى على الخطاب حيويةً وقوةً، وجعل المتلقي شريكًا في عملية التفكير والمساءلة، بدل أن يكون مجرد متلقٍّ سلبي للأحداث.

أما على المستوى الموسيقي، فقد جاءت قافية المقطع منسجمة مع الجو النفسي المسيطر عليه؛ إذ تتكرر الأصوات القوية في أواخر الأشطار، بما يضفي على الإيقاع نبرة احتجاج واستنكار تتلاءم مع طبيعة الخطاب المقاوم. كما ينسجم إيقاع بحر مشطور المتدارك مع سرعة الانفعال، وقصر الجمل، وتوالي النداءات، وهو بحر يتميز بحركته المتدفقة التي تمنح القصيدة إيقاعًا متوترًا يتناسب مع أجواء الألم والاستنفار.

ويتجلى في هذا المقطع أيضًا التلاحم بين الشكل والمضمون؛ فالألفاظ المختارة، والصور الشعرية، والأساليب البلاغية، والإيقاع الموسيقي، جميعها جاءت موظفة لخدمة الرسالة الفكرية التي يحملها النص، فلم تكن العناصر الفنية غاية في ذاتها، بل كانت أدوات فاعلة في ترسيخ معنى المقاومة، وإدانة الظلم، واستنهاض الأمة للقيام بواجبها.

وبذلك يكشف هذا المقطع عن أحد أبرز ملامح شعر المقاومة في الأدب الإسلامي المعاصر، حيث يمتزج فيه الصدق العاطفي بالوعي الفكري، وتتحد فيه القيمة الجمالية بالرسالة الإنسانية. فهو لا يكتفي بتوثيق المأساة، ولا يقف عند حدود رثاء الضحايا، وإنما يحول القصيدة إلى خطاب حضاري يدين جرائم الاحتلال، ويكشف زيف المواقف السلبية، ويدعو إلى الانتقال من دائرة التعاطف اللفظي إلى فضاء المسؤولية العملية، ليظل الشعر شاهدًا على الحق، وصوتًا للأمة، ورسالةً للدفاع عن الإنسان والأرض والمقدسات.

دراسة تحليلية للمقطع الختامي :

يختتم الشاعر قصيدته بالمقطع الثاني عشر، الذي يحمل خلاصة رسالتها الفكرية والإيمانية، ويبرز فيه أحد أهم ملامح شعر المقاومة في الأدب الإسلامي المعاصر، وهو اليقين بوعد الله تعالى، والثقة بأن النصر والتمكين آتيان مهما طال زمن الاحتلال. يقول الشاعر:

لن يطولَ الدُّجى ... أو يَخيبَ الرَّجا
ها هو الفجرُ جا ... فاقضِ ما أنتَ قاضْ[11]

يفتتح الشاعر المقطع بأسلوب النفي في قوله: 'لن يطول الدجى'، مؤكدًا أن ليل الظلم والاحتلال ليس قدرًا أبديًا، وإنما مرحلة مؤقتة محكومة بالزوال. وقد اتخذ 'الدجى' رمزًا للظلام وما يصاحبه من القهر والاستبداد والاحتلال، في مقابل ما سيأتي بعده من نور الحرية والعدل. ويمنح حرف النفي 'لن' العبارة قوة في التأكيد، ويعكس يقين الشاعر بأن المستقبل سيكون لأصحاب الحق لا للغاصبين.

ويعزز هذا المعنى بقوله: 'أو يخيب الرجا'، حيث ينفي أن يضيع الأمل الذي حمله المقاومون وصبروا من أجله سنوات طويلة. فالرجاء في القصيدة ليس أمنية عابرة، بل هو يقين راسخ يستند إلى الإيمان بعدالة القضية، والثقة في سنن الله التي تقضي بأن العاقبة للحق وأهله. وهكذا يربط الشاعر بين الأمل والإيمان، ويجعل الرجاء قوة دافعة للاستمرار في طريق المقاومة وعدم الاستسلام لليأس.

ثم ينتقل إلى إعلان بشارة النصر بقوله: 'ها هو الفجر جا'، فجعل الفجر رمزًا لانتهاء ليل الاحتلال وبداية مرحلة جديدة من الحرية والكرامة. وقد جاء اسم الإشارة 'ها' ليقرب صورة الفجر إلى

ذهن المتلقي، وكأن الشاعر يراه رأي العين، فيوحي بأن النصر لم يعد بعيدًا، وإنما أصبح وشيك الوقوع. وهذه الصورة تمثل الذروة الشعورية في القصيدة، إذ تنتقل من انتظار الفجر في مطلعها إلى الإعلان عن قرب طلوعه في ختامها، فتكتمل بذلك الدائرة الفنية والفكرية للنص.

ويختم الشاعر بقوله: 'فاقضِ ما أنت قاض'، وهو اقتباس من قول القرآن الكريم على لسان سحرة فرعون: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾[12]. ويُعد هذا الاقتباس من أجمل مظاهر التناص القرآني في القصيدة؛ إذ يوظفه الشاعر ليجسد موقف المؤمن الواثق بالله، الذي لا يرهبه بطش الطغاة ولا يخشى تهديدهم، لأنه يعلم أن سلطانهم مؤقت، وأن الحكم النهائي لله وحده. ومن خلال هذا التوظيف القرآني يربط الشاعر بين مقاومة اليوم ومواقف الثبات التي جسدها المؤمنون عبر التاريخ، فيمنح خطابه بعدًا إيمانيًا عميقًا.

ومن الناحية الفنية، اعتمد الشاعر على الرمز في مقابلته بين 'الدجى' و'الفجر'، وهما من أكثر الرموز حضورًا في شعر المقاومة؛ إذ يرمز الظلام إلى الاحتلال والظلم، بينما يرمز الفجر إلى النصر والتحرير. كما استخدم النفي والتوكيد وأسلوب الإشارة والاقتباس القرآني، فجاءت هذه الوسائل البلاغية متضافرة لإبراز قوة اليقين وثبات العقيدة. ويلاحظ كذلك حسن التدرج في بناء المعنى؛ إذ انتقل الشاعر من نفي دوام الظلام، إلى تأكيد عدم خيبة الأمل، ثم إلى إعلان قرب الفجر، وأخيرًا إلى إعلان التحدي والثبات أمام قوة المحتل.

أما على المستوى الموسيقي، فقد جاءت قافية المقطع على الجيم المفتوحة، وهي قافية قوية منفتحة تنسجم مع جو الانفراج والبشارة الذي يختم به الشاعر قصيدته. كما يظل بحر مشطور المتدارك محتفظًا بإيقاعه السريع المنساب، ليمنح النهاية طابعًا إنشاديًا مؤثرًا، ويجعل خاتمة القصيدة أكثر رسوخًا في ذاكرة المتلقي.

ويتجلى التوازن بين الشكل والمضمون في هذا المقطع بصورة مكتملة؛ فالمضمون القائم على اليقين بالنصر والتمكين جاء في بناء فني زاخر بالرموز، والاقتباس القرآني، والتقابل بين الظلام والنور، والإيقاع المتفائل، فجاءت جميع العناصر الفنية خادمة للرسالة الفكرية للقصيدة. وبهذا يختم الشاعر قصيدته بخاتمة تنسجم مع روح الأدب الإسلامي، مؤكدةً أن المقاومة ليست مجرد مواجهة مع الاحتلال، بل هي مسيرة إيمانية تقوم على الثقة بوعد الله، واليقين بأن ليل الظلم إلى زوال، وأن فجر الحرية والتمكين لا بد أن يشرق مهما طال انتظار المؤمنين.

خاتمة الدراسة :

سعت هذه الدراسة إلى استجلاء ملامح شعر المقاومة في الأدب الإسلامي المعاصر من خلال قصيدة «أبشري يا قدس» للشاعر السوري الأستاذ عمر محمود ضوبع، بوصفها نموذجًا شعريًا يعبر عن

الرؤية الإسلامية للإنسان والكون والحياة، ويجسد مفهوم الأدب الرسالي الذي يجعل الكلمة وسيلةً للدعوة إلى الحق، والدفاع عن المقدسات، ومقاومة الظلم، وبعث الأمل في نفوس المؤمنين.

وقد كشفت الدراسة أن القصيدة تنطلق من التصور الإسلامي للصراع بين الحق والباطل، فلا تنظر إلى القضية الفلسطينية بوصفها قضيةً سياسيةً أو قوميةً فحسب، وإنما تقدمها باعتبارها قضية عقيدة وهوية ورسالة، ترتبط بالمقدسات الإسلامية وبمسؤولية الأمة في حفظ دينها وكرامتها. ومن ثم جاءت المقاومة في القصيدة تعبيرًا عن موقف إيماني وحضاري، يقوم على الصبر والثبات والجهاد المشروع، ويستمد قوته من الثقة المطلقة بوعد الله تعالى، والإيمان بأن العاقبة للمتقين، وأن سنن الله في نصر المؤمنين لا تتبدل ولا تتخلف.

كما أبرزت الدراسة قدرة الشاعر على الإفادة من الوسائل الفنية في بناء خطاب شعري ملتزم، فوظف الصورة الشعرية، والرمز، والتناص القرآني، والإيقاع، والبناء المقطعي توظيفًا فنيًا منسجمًا مع رسالته الفكرية، دون أن يطغى الجانب الوعظي على القيمة الجمالية للنص. وبذلك حققت القصيدة التوازن بين الالتزام والإبداع، وهو أحد أهم الأسس التي يقوم عليها الأدب الإسلامي المعاصر.

وتؤكد هذه الدراسة أن شعر المقاومة في الأدب الإسلامي ليس مجرد تسجيل لآلام الأمة أو وصف لمآسيها، وإنما هو فعل حضاري يسهم في صناعة الوعي، وبناء الإنسان المؤمن، وربط الواقع بسنن الله في التاريخ، وغرس قيم العزة والكرامة والجهاد والصمود في وجدان الأمة. ومن هذا المنطلق تمثل قصيدة «أبشري يا قدس» أنموذجًا متميزًا للأدب الإسلامي المعاصر، الذي يجعل من الكلمة الصادقة رسالةً للإصلاح، وشهادةً على العصر، وصورةً من صور المقاومة الحضارية في مواجهة الاحتلال والطغيان.

أبرز نتائج البحث :

(١) أثبتت الدراسة أن قصيدة «أبشري يا قدس» تنتمي إلى شعر المقاومة في الأدب الإسلامي المعاصر، من خلال التزامها بالرؤية الإسلامية، واتخاذها من العقيدة منطلقًا لتفسير الواقع واستشراف المستقبل.

(٢) كشفت الدراسة أن المقاومة في القصيدة تقوم على مفهوم إسلامي شامل، يجمع بين الثبات على العقيدة، والدفاع عن الأرض والمقدسات، والجهاد المشروع، واستحضار السنن الإلهية في الصراع بين الحق والباطل.

(٣) بينت الدراسة أن القضية الفلسطينية تجلت في القصيدة باعتبارها قضية الأمة الإسلامية جميعًا، ورمزًا للدفاع عن الهوية الحضارية والرسالة الإسلامية.

(٤) أظهرت الدراسة أن الشاعر استطاع أن يحول التجربة الشعرية إلى خطاب رسالي يجمع بين التأثير الجمالي والتوجيه الفكري، في إطار من الالتزام بقيم الأدب الإسلامي.

(٥) كشفت الدراسة عن حضور واضح للتناص القرآني والرموز الإسلامية والتاريخية، مما عمق البناء الدلالي للقصيدة، وربط التجربة المعاصرة بالمرجعية الإسلامية الخالدة.

(٦) بينت الدراسة أن اللغة الشعرية جاءت نقية وقوية وموحية، واتسمت بالوضوح والصدق، وأسهمت في ترسيخ معاني الصمود، وبعث الأمل، وتعزيز روح المقاومة.

(٧) أثبتت الدراسة أن البناء الفني للقصيدة، بما اشتمل عليه من تقسيم مقطعي، ولازمة إنشادية، وإيقاع متدفق، أسهم في تعزيز وحدة النص وزيادة تأثيره في المتلقي.

(٨) أظهرت الدراسة أن الصورة الشعرية في القصيدة تجاوزت الزخرف الفني إلى أداء وظيفة فكرية وإيمانية، فجسدت معاني التضحية، والثبات، والنصر، واستنهضت وعي الأمة ومسؤوليتها الحضارية.

(٩) أكدت الدراسة أن التكامل بين الشكل والمضمون يمثل سمة بارزة في القصيدة؛ إذ جاءت العناصر الفنية جميعها خادمة للرؤية الإسلامية، ومحققةً وحدةً عضوية بين الجمال الفني والرسالة الفكرية.

(١٠) خلصت الدراسة إلى أن شعر المقاومة في الأدب الإسلامي المعاصر يؤدي وظيفة حضارية تتجاوز التعبير عن الأحداث إلى بناء الوعي، وإحياء روح الأمة، وترسيخ الثقة بوعد الله تعالى، مما يجعل الكلمة المؤمنة وسيلةً من وسائل الجهاد الثقافي، وشاهدًا على حيوية الأدب الإسلامي وقدرته على مواكبة قضايا الأمة والدفاع عن قيمها ومقدساتها.

.....

الهوامش

[1] سورة النساء، الآية: ٧٥

[2] البخاري، رقم: ٦٠١١، ومسلم، رقم: ٢٥٨٦.

[3] مسلم، رقم: ١٩٢٠

[4] للتفصيل يُنظر: القضية الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر، لأحمد إسماعيل عبد الكريم، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١٥م

[5] ومن الجدير بالذكر أن «ديوان الشمائل» قد صدر ونُشر، وهو أول ديوان شعري لشاعرنا الكريم، ويضمّ واحدًا وثمانين (٨١) قصيدةً.

والقصيدة محلّ الدراسة هي القصيدة رقم (٣٩)، وهي منشورة ضمن قافية الضاد في الصفحتين ٥٣–٥٤ من الديوان. وللاطلاع على الديوان وقراءته بصيغة PDF، يمكن الوصول إليه عبر الرابط الآتي:noor-book.com/dtqn3ej

[6] الرابط : https://www.facebook.com/Omar.Dobba

[7] مستفاد من مراسلاتي مع شاعرنا الغالي عبر رسائل الواتس ايب.

[8] عمر محمود ضوبع، ديوان الشمائل، الطبعة الأولى (١٤٤٧هـ)، مكتبة نور الإلكترونية، صـ ٥٢.

[9] المرجع السابق، صـ ٥٢.

[10] المرجع السابق، صـ ٥٢.

[11] المرجع السابق، صـ ٥٣.

[12] سورة طه، الآية: ٧٢

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم

ثانيًا: كتب الحديث الشريف

١- البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري. تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. ط. ١. بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٢- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المعروف بصحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ثالثًا: الكتب والديوان

٣- ضوبع، عمر محمود. ديوان الشمائل. ط. ١. ١٤٤٧هـ. مكتبة نور الإلكترونية.

٤- شكري، غالي. أدب المقاومة. ط. ٢. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩م.

٥- عبد الكريم، أحمد إسماعيل. القضية الفلسطينية في الشعر العربي المعاصر. عمّان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م.